

د. سعد بن عبدالله العريفي

الاستقامة
وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع




بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد،،،

إن من أسباب سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة هي الاستقامة على منهج الله عَزَّوَجَلَّ كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ . وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ. ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٥٣] سورة الأنعام، ففي الاستقامة السلامة من الانحراف يمينًا أو يساراً وهي سلوك الوسطية وليس فيها غلو أو جفاء لذا فإن الاستقامة هي السبيل الموصلة إلى رضوان الله عَزَّوَجَلَّ ومن أسباب دخول الجنة والنجاة من النار ، وهي الطريق الواضحة التي كان عليها

نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابه الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين ثم سار عليها التابعين والسلف الصالح وفي هذا البحث المتواضع يجد الباحث عن الحق طريق السلامة من الفتن ويجد مبتغاه في الوصول إلى السعادة في الدارين إن شاء الله، أسأل الله أن ينفع به كاتبه وقارئه وأن يجعله من العلم النافع الذي يكون لكاتبه ذخراً في الآخرة والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الباحث

اللواء متقاعد

د. سعد بن عبدالله العريفي



الاستقامة وأثرها
في إصلاح الفرد والمجتمع

تعريف الاستقامة ومشروعيتها:

فإن الاستقامة هي لزوم طاعة الله عَزَّوَجَلَّ وطاعة الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومن جوامع كلام الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قوله للصحابي سفيان بن عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين سأله قائلاً : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك فقال صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **(قل آمنت بالله ثم استقم)** رواه مسلم. أي استقم بعد الإيمان بالله وهو لزوم طاعة الله حيث يجدك ولا يفقدك حيث أمرك.

وقد أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباعه من المؤمنين بالاستقامة على الدين كما قال تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا .إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ وقد قال عنها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(شيبتني هود وأخواتها)** كما بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عاقبة أهل الاستقامة بقوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّـهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾** وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّـهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** .

درجات الاستقامة:

أولها: الثبات على التوحيد والبراءة من الشرك وأهله.

وذلك عندما سُئل أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن الاستقامة قال (أن لا تشرك بالله شيئًا) أي لزوم التوحيد الخالص.

ثانيًا: لزوم الأوامر والنواهي بفعل الأوامر وترك النواهي وهي إتيان الطاعات واجتناب المعاصي.

كما قال بذلك عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : (أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب).

وذلك بلزوم الطاعات في كل الأحوال حتى ينشغل الإنسان بما فيه النفع والخير ويترك المعاصي والمحرمات لتحقيق

الثبات على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، لأن التذبذب وعدم الثبات من صفات المنافقين كما قال تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ . وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **(آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)**[1] .

فجماع الاستقامة هي إخلاص التوحيد لله عَزَّوَجَلَّ وترك النواهي والثبات على ذلك. فهي بجميع أحوال الإنسان من أقوال وأعمال وثبات.

(١) رواه البخاري، باب علامة المنافق، ١ / ١٦- وروام مسلم في باب بيان خصال المنافق ١ / ٧٨.

والاستقامة تتضمن عدة أمور كما بينها ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين وهي:

١- إثبات المعبود بالإرادة من الأفعال والأقوال والنيات وهو الإخلاص.

٢- وقوع الأعمال وحصولها وفق الأمر الشرعي لا البدعي وهو متابعة السنة.

٣- العمل والاجتهاد في الطاعة بقدر وسعه ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها فاتقوا ما استطعتم.

٤- الاقتصاد في العمل بين الغلو والتفريط (لا إفراط ولا تفريط).

٥- الوقوف مع ما يرسمه الشرع ويحدده لا مع دواعي النفس وحظوظها وفي حديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(واستقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)** رواه أحمد بإسناد صحيح.

فمن يطق السداد في كل أحواله وهي الاستقامة التامة فليقاربها بحسب طاقته ولا ينزل عن تلك الدرجة. سددوا وقاربوا.

قال بعض السلف رحمهم الله: (ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان إما إلى تفريط وإما إلى مجاوزة) وهي الإفراط ولا يبالي بإيهما ظفر (الزيادة أو النقصان) أخرجه أحمد وابن ماجة.

وإن أعظم ما يكرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عبده هو لزوم الاستقامة، كما قال بذلك شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع

الفتاوى (إن الكرامة لزوم الاستقامة وإن اللع لم يكرم عبده بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه وهو طاعته وطاعة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ).

والاستقامة يجب أن تكون في الظاهر والباطن أي في أعمال القلب والجوارح.



وسائل تحقيق الاستقامة:

١- وجوب الإيمان بأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عرّف الأمة بجميع أمور دينهم وما يحتاجون إليه في الاعتقاد والعمل كما قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّـهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ . إِنَّ اللَّـهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**) رواه ابن ماجة في سننه.

٢- لزوم لوازم الإيمان بترك الابتداع أو التقصير في السنة والتهاون والتفريط.

٣- التوسط والاعتدال وترك التكلف والغلو والتنطع في الاعتقاد والعمل والتوسط هو منهج سلفنا الصالح وسلوكهم.

قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ أي خياراً عدولاً.

وبذلك يتحقق أهم قواعد الاستقامة وهو لزوم طاعة الله باطناً وظاهراً علماً وعملاً.

الأسباب المعينة عليه:

١- تقوى الله ومراقبته.

٢- دعاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالهداية: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾.

٣- الاستعانة بالله عَزَّوَجَلَّ والتوكل عليه، حديث عبدالله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **(احفظ الله يحفظك)**.

٤- طلب العلم الشرعي (العلم نور).

٥- لزوم الرفقة الصالحة (الجليس الصالح).

٦- الأعمال الصالحة من بر الوالدين وصلة الرحم وغيرها من كثرة النوافل.

٧- التوبة النصوح.

٨- قراءة القرآن الكريم وتدبره.

٩- كثرة الذكر. قال تعالى: ﴿ **اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا** ﴾.

١٠- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١١- الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

١٢- التفكر في مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ.

١٣- تذكر الموت والآخرة.

١٤- محاسبة النفس.

١٥- النظر في سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقراءة كتب السلف والنظر في حياتهم وأحوالهم.

١٦- لزوم المساجد في الصلوات ودروس العلم.

من ثمرات الاستقامة:

- الأمن في الدنيا والآخرة.
- أداء الأمانات.
- إتقان العمل.
- أداء الحقوق.
- بذل المعروف للناس وكف الأذى.

- حسن الخلق.
- المحبة من الله عَزَّوَجَلَّ ومن الناس.
- رغد العيش.
- التوفيق من الله عَزَّوَجَلَّ.
- تعاون وترابط المجتمع وتماسكه.
- العمل الجاد.
- العلم النافع ﴿**واتقوا الله ويعلمكم الله**﴾.

أسباب الانحراف:

١- رفقة السوء.

٢- ضعف الإيمان والبعد عن الله وترك الصلاة ومجالس الذكر.

٣- الغلو والتشديد على النفس حتى يمل فيتركها وينحرف. قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (**إن هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق**) مسند الإمام أحمد. وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (**لا تكن كالمنبت لا أرض قطع ولا ظهر أبقى**).

٤- الفراغ بشقيه الروحي والزمني كما قال الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجدة   مفسدة للمرء أي مفسدة

٥- اليأس والقنوط من رحمة الله عندما يعرف الإنسان على نفسه من رحمة الله فيظن أن الله لا يغفر فيستمر فيها ويقنطه الشيطان من رحمة الله والله يقول: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّـهِ . إِنَّ اللَّـهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا . إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾.

٦- وسائل الإعلام المضللة (إنترنت، قنوات فضائية، إذاعة، وجلات وصحف).

٧- عدم وضوح الهدف في الحياة وعدم تحديد الوجهة والغاية.

وسائل الثبات:

١- الإقبال على القرآن الكريم قراءة وتدبراً وعملاً لأن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴿**إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾.

٢- التزام شرع الله والإكثار من الأعمال الصالحة. قال تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّـهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّـهُ مَا يَشَاءُ**﴾.

٣- قراءة سير الأنبياء وقصصهم وتدبرها لمعرفة ثباتهم وصبرهم والتأسي بهم لقوله تعالى: ﴿**وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ . وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ هود.

٤- كثرة الدعاء بالثبات وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في دعائه:

(يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك).

٥- كثرة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.

٦- اتباع السنة وهدي السلف رحمهم الله وهو طريق أهل السنة والجماعة.

٧- التربية الإسلامية الصحيحة للناشئة.

٨- الإيمان الصادق والتصديق.

٩- ممارسة الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٠- الإلتفاف حول العلماء وطلبة العلم الشرعي والحرص على الدروس وحلق الذكر.

١١- الثقة بنصر الله للدين والقناعة التامة بأنه الحق والإيمان بوعد الله عَزَّوَجَلَّ من أن العزة لهذا الدين وأهله.

١٢- معرفة حقيقة الباطل وأهله وعدم الاغترار به مهما بلغ من الطغيان والظهور. قال تعالى: ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا . وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ . كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ**

وَالْبَاطِلَ . فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً . وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ . كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّـهُ الْأَمْثَالَ﴾ الرعد.

١٣- الصبر وعدم الاستعجال واحتساب الأجر ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ العصر. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزمر. وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الكهف.

١٤- الاستشارة وطلب الموعظة والدعاء من الرجال الصالحين وكذلك الاستخارة في جميع الأمور.

١٥- معرفة الدنيا على حقيقتها والتجافي عن دار الغرور وتذكر الموت والآخرة.



الخاتمة

يجب لزوم الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الانعام..

وحديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قوله خط الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطاً مستقيماً في الأرض وخط خطوطاً مائلة على جانب ذلك الخط فقلنا ما هذا يا رسول الله... الحديث، فمن لزمه في الدنيا استقام عليه وفي الآخرة.





المحتوى



